

جيل من الغاضبين يلجأ إلى موسيقى الراب للتعبير عن قضاياه في السودان

الراب السوداني يعزف على وتر الاحتجاجات للانتشار

حفز المناخ الثوري نشاط أنواع كثيرة من طرق التعبير لدى الشباب السودانيين وأبرزها موسيقى الراب التي نمت وتطورت، خاصة مع خروج البعض من أغنياته التي تمكنت من تطويع الأفسار والمطالب والرفض للعهد السابق بما لاقي استحسان الجمهور التائر آنذاك.

الخرطوم - يستفيد مؤدو الراب الشباب في السودان من تخفيف قيود المجتمع بعد انتفاضة 2019، فالمساحة المتاحة لهم تزداد اتساعا حيث أصبحوا يؤدون أغنياتهم في الساحات العامة والمسارح المخصصة للحفلات الموسيقية، وتتناول كلمات أغانيهم كل شيء من مصاعب المعيشة وحتى مشكلات العلاقات العاطفية.

ويقول الموسيقي أحمد مهدي إن الحريات المتنامية تسمح لفرقته "إجراءات" موسيقى الراب بأن تعكس القضايا التي يرى أعضاؤها أن السودان ما زال مبتلى بها وهو يعاني أزمة اقتصادية عميقة ويخوض تحولا هشا إلى الديمقراطية.

وأضاف "نكتب واقعي دائما" وأوضح "عندما تكون في المواصلات العامة ترى طفلا من أطفال الشوارع تعرض لحادثة ما فتتاولها في إجراءات، كما هو الحال عندما تعشي بجانب النيل وترى الفيضان، وترى المشكلات التي يعاني منها الشعب، جميعها نحاول أن نحكيها ببساطة الكلمات، أسبست العبارات التي تستطيع أن تصل إلى الناس عموما أو إلى أي شخص، وفي أي مكان في السودان كما تصل إلى السوداني المغترب خارج البلاد".

قوانين صارمة

وشهد السودان تحت حكم رئيسه السابق عمر حسن البشير الذي أطع به قبل عامين، صناعة موسيقى راب متنامية لكنها حذرة، حيث كان على الفنانين الشباب أن يواجها الأجهزة الأمنية في البلد إذا كانوا ينتقدون الحكومة بشكل علني.

كما كانت الأماكن المتاحة لأدائهم محدودة أيضا، لاسيما بالنظر لقوانين النظام العام الصارمة. وقد تعرض بعضهم للحبس والحراسة على ما يقدمونه من أفكار ناقمة على السلطة. لكن اليوم صار عادي أن تسمع عبر صفحات التواصل الاجتماعي، أو القنوات الفضائية المحلية، لأغنيات من نوع الراب، وهو ما كان محسورا في الفترة الماضية في نطاقات ضيقة، وفي مجموعات اجتماعية ضيقة.

وتعرض فرقة "إجراءات" الآن في أنحاء العاصمة الخرطوم ومنتقد الشرطة وتشكو من الأوضاع الاقتصادية وتشير إلى الإطارات المحترقة في الاحتجاجات المناهضة للحكومة.

وتقول إحدى أغنيات الفرقة، في إشارة إلى بيع المشروبات الكحولية المخمرة في المنزل بشكل مخالف للقانون، إن السعادة هنا تباع "بالجركن"، والنساء جائعات والحكومة غير مهتمة. وقال مهاج كباشي، عضو الفرقة المعروف باسم "إم.او.3"، إنهم يجتذبون جمهورا يتطلع للتعبير عن قضاياهم الخاصة وقضايا المجتمع الأوسع.

وأضاف الشاب البالغ من العمر 26 عاما، وهو جالس أمام جهاز دمج الموسيقى "نتحدث عن مشكلات في البيت، مشكلات مع الأصدقاء، غضب من حبيبتني، أشياء كهذه. وبعد ذلك تطور الموضوع لأن الناس بدأت تسمع الأشياء التي أعمل عليها وأحبوها وخصوصا من جيلي، وهذا ليس شيئا صعبا لأنه عندما نتكلم عن شيء يؤلمك يصدق سجد الكثير من الناس يشاركوك نفس الأحاسيس أو حتى قريبة للأحاسيس التي تشعر بها".

وساهمت منصات البث ووسائل التواصل الاجتماعي بشكل كبير في فتح المجال أمام هذا النمط فبانت قبلة الشباب الراغب في تادية الأغاني بنمط مختلف عن السائد. إلا أن الأغاني في بداية المرحلة التي جمعت بين اللغة العامية السودانية والإنجليزية



نمط غنائي يناسب جيل اليوم



موسيقى تحمل الكثير من الرسائل

وممكن أن يصحح المجتمع وأغلبية الأغاني موضوعية وتتناول قضايا ومشكلات وأحزان وأفراح المجتمع، وفي البداية كان غير مرحب به في المجتمع لكن حاليا نظرة المجتمع للراب تحسنت حتى الفتيات أصبحن يستمعن له.

ويرى الشباب أن المشكلة تكمن فقط في الإعلام المقصر بشدة تجاه هؤلاء المبدعين، ويهتم بكل الفنون عدا فن الراب، ويتمنون من الإعلام والجهات المختصة الالتفات للفنون الحديثة.

بعض أغاني الراب لها تأثير كبير في التوعية بحال البلد بين الشباب، خصوصا فترة الثورة، مثل أغاني «جنجويد رباطة»

ويقول متابعون إن مقدمي الراب السوداني أخفقوا في إيجاد صيغة واحدة تجمعهم كما حدث في أغلب الألوان الموسيقية ومنها على سبيل المثال "فرق الموسيقى السودانية الحديثة والجاز". إلا أن هناك من يعلق الأمل على جمعية "الهيبة هوب" الثقافية مستقبلا.

وطالب الأمين العام لمجلس الموسيقى والتمثيل عبدالمعتمد الفادني الدولة بالاهتمام بموسيقى الراب لجهة أنها تحمل الكثير من رسائل الفاضلة ذات دلالات لنمذ التميز الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

كانت باداء محلي ولا تملك هوية لكن أغلب ما تم تقديمه ارتبط بقضايا السياسة والاقتصاد في الداخل وعارض بوضوح الأزمات والاختلالات القائمة. ويصدر الفنانون، الذين يؤدون عروضهم باللغتين العربية والإنجليزية، الدومات من أستوديوهات مخصصة ولهم عدد كبير من المتابعين على الشبكات الاجتماعية. وأصبحت العروض الكبيرة أكثر انتشارا حيث جذب الفنانون الآلاف إلى أماكن كان استخدامها قاصرا على مغنين تقليديين أكثر فقط. ومع أن الموسيقى لعبت دورا رئيسيا في الانتفاضة ضد نظام البشير الإسلامي، يقول مهدي إن "العديد من السودانيين ما زالوا يرفضون موسيقى الراب باعتبارها أجنبية أو غير أخلاقية برايمهم".

وأضاف "أنا أرى أن فرقة إجراءات عبارة عن أحلام شباب أو أحلام جيل كامل، لأسباب كثيرة، لأننا نريد أن نصل إلى مستوى محدد من الوعي للشباب كلهم، نريد أن نصل إلى مجتمع ناهض، مع أن المجتمع رافض لنا تماما والإعلام رافض لنا".

لكنه عبر عن تفاؤله بقوله "لكن نحن مؤمنون بالجيل الذي يشجعنا ويتابعنا عندما نقدم له أغاني بسيطة كهذه ونقدم قضايا في شكل أغانٍ ونعطيها فنا، بأسلوب تعبير حسب تعريفنا للفن، هؤلاء الشباب سيكونون قادرين على قضية مهما كانت أيا كانت صعوبتها".

ووجد مغنو الراب الشباب مساحة واسعة للانتشار ضمن أنماط فنية أخرى في ثورة ديسمبر 2018، بدءا من الترويج للمواكب والفعاليات الاحتجاجية، وليس وانتهاج باعتصام القيادة العامة، في أبريل 2018. ويعتبر عبدالقادر إبراهيم المشهور بـ"تذرة"، والمتأثر بمغني الراب الأمريكي امينيم، أحد مغني الراب الشباب السودانيين، ويجمع بين غناء الراب ومهنة الطب، وقال "إن الراب في السودان، بدأ في التسعينات، عبر شباب تأثروا بمغني الراب حول العالم، وتحديدا الولايات المتحدة الأمريكية، وتدور موضوعاته -في غالبها- عن التعبير أو الملابس، فقد ظهرت بعض الممارسات الغريبة على المجتمع ولكنها تتناسب مع طبيعة الفترة".

والراب واحد من المظاهر التي نمت وتطورت واستحوذت على جانب كبير من الساحة المجتمعية في السودان، خاصة مع خروج بعض من أغنياته التي تمكنت من تطويع الأفكار والمطالب والرفض للعهد السابق بما لاقي استحسان الجمهور التائر آنذاك.

واعتمد الراب السوداني على المنصة الاحتجاجية، للانتشار إبان الاحتجاجات في السودان، حيث أخذ الراب سمة الاحتجاج التي نشأ عليها، وكان أحد الوسائل المهمة للاحتجاج، خاصة عند فئة الشباب.

وكان لبعض أغاني الراب تأثير كبير في التوعية بحال البلد بين الشباب، خصوصا فترة الثورة، مثل أغاني "جنجويد رباطة" لمغني الراب الأشهر أيمن ماو، و"سودان بدون كيزان"، لمغني الراب "أي جي".

ويذكر المهتمون بالأنبيات

الراب، أن أول فرقة أدت الراب كان اسمها "بورن إن بلاك" وبعدها ظهرت العديد من الفرق، وأصدرت عددا من الأغنيات، واشتركت في عدد من المهرجانات. واستطاع الراب أن ينتشر بين السودانيين، عندما

عرفته أوساط الشباب من الطبقات الشعبية، وفي ذات الوقت عند الطبقات السودانية الغنية، بسبب نشأتهم أو مولدهم في البلدان الأوروبية والولايات المتحدة، أو دول الخليج العربي.

خروج عن النص

ويربط المهتمون انتشار غناء الراب في السودان، بالفترة التي سبقت انفصال جنوب السودان عام 2011 بقليل. وهي ذات الفترة التي شهدت انفتاحا في العمل السياسي، وكذلك تصاعد العمل المدني، والذي تبلور بعد سنوات بحركات الاحتجاج التي قادتها ما عرف بانتفاضة سبتمبر 2013. وهي الفترة التي ظهرت فيها أغنيات على نمط الراي، لعدد من المغنين مثل: نووي، أبوالبخير، وعثمان سيف، مغني الراب الأكثر شعبية في ذلك الوقت. ويرى البعض من متابعي الفن السوداني أن غناء الراب لا يتفق مع التراث السوداني، وفيه الكثير من حالات الخروج عن النص الرصين؛ لكن المغني مايكل بيتر ينفي ذلك؛ ويشير إلى أنه لون غنائي متميز له جمهوره.

ويعتبر البعض الآخر أن الراب بكلماته المباشرة التي تعبر عن الحقيقة الصادمة هو صوت يعبر عن جيل من الغاضبين ونقله بالصورة الأنسب له. فالغضب لا يحتمل المقدمات الموسيقية المتهمة والرمزية الموهلة في الشعرية، والمكتبة الغنائية مليئة بأدبيات النضال وأغنيات المنافي والسجون والثورة.